المقوم الديني وأثره في تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها

The religious component and its impact on the teaching of the Arabic language to non-Arabic speakers

د. سعيد بكير

جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف.

Saidbakir2@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2019/05/18 تاريخ القبول: 2020/09/12 تاريخ النشر: 2020/12/20

ملخص:

يقوم تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها على عدة مقومات، يركز عليها المتخصصون ويؤكدون على ضرورة اعتمادها، ومنها المرجعية الثقافية الإسلامية للمفردات، لأنها تمثل في نظرهم لغة التراث المشتركة بين العرب من المحيط إلى الخليج، في حين أنهم لا ينصحون بتعليم الأجانب لهجات الأقطار العربية المتباينة. لذلك، سأعمل في هذه المداخلة على تبيان أهمية المقوم الديني في تعليم مفردات اللغة العربية للأجانب، وهو من العوامل المهمة في توحيد اللسان العربي، غير أن التعامل باللهجات يجر إلى التعدد ويشق الطريق أمام المتعلمين ويسوق إلى التشتت. الكلمات المفتاحية: تعليم؛ المقوم الديني؛ أجانب؛ اللهجات؛ ...

ABSTRACT :

Teaching Arabic to non-native speakers is based on several components. Which is the focus of the specialists and emphasize the need to adopt them. It is the Islamic cultural reference of vocabulary, because they represent the language of the common heritage of the Arabs from the ocean to the Gulf. While they do not recommend teaching foreigners the dialects of different Arab countries.

So. I will work in this research to show the importance of religious values in teaching the vocabulary of the Arabic language for foreigners. It is an important factor in the unification of the Arabic tongue. However, dealing with dialects leads to pluralism and makes way for educated people and leads to dispersion.

Keywords: Teaching ; religious values ; foreigners ; dialects ;.....

1. مقدمة:

تمتلك اللغة العربية مكانة خاصة بين اللغات، ولها من المقومات ما يجعلها منافسا قويا لغيرها، إذ هي لغة اثنتين وعشرين دولة في العالم، ومن اللغات الرسمية المعتمدة في الأمم المتحدة ومنظمة اليونسكو، وللحفاظ على

هذه المرتبة، أصبح من اللازم التفكير جدّيًا في السبل الكفيلة للارتقاء بها وتعليمها، وتطوير سبل نشرها في العالم وعدم الاكتفاء بالفخار بالتراث الذي تحمله، أو الإقليم الواسع الذي تشغله، فالعربية اليوم تقاوم تأثيرات لغات ولهجات عديدة.

ولكن على الرغم من مكانتها العالية إلاّ أنّها تحتاج إلى المرافقة والعناية حتى تصمد في وجه التحديات المفروضة عليها، بفعل هيمنة اللغة الانجليزية، زيادة على ذلك هي لغة القرآن الكريم ورمز الهوية العربية الإسلامية، فهي ليست لغة للعرب فقط بل هي لغة كل المسلمين في مختلف بقاع العالم، ومن الواجب تعليمها لأنّها أداة من أدوات فهم الدين، ومن ههنا ينبغي لمُتعلّم اللغة العربية-الناطق بها أو غير الناطق بها- أن يتشرب من معين الثقافة العربية الإسلامية أولاً، فيمنحه ذلك الاتصال بمفرداتها، والتهيئة النفسية لتلقيها، ثمّ تعلّمها في مرحلة تالية، وثمة يستطيع التواصل بسهولة مع أبنائها في مختلف الأقطار العربية، وإن اختلفت لهجاتهم.

ونظراً لأهمية العامل الديني في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، تعالت أصوات عدة المتخصصين (رشدي أحمد طعيمة، تمام حسان، عبد العزيز العصيلي.....) تدعو إلى توظيفه بقوة في بناء البرامج التعليمية (النصوص والأمثلة، وعناوين النصوص، والتدريبات.....)، وتدعو معلمي العربية إلى التزوّد بالثقافة الإسلامية، حتى يتسنى للمُتعلّم الأجنبي أخذ أفكار صحيحة عن القرآن الكريم وعن الثقافة العربية، ولكن تجسيد هذه الرغبات في كتب العربية للناطقين بغيرها نسبي ولم يرق إلى المستوى المطلوب، وما زال معلم العربية في بعض الدول الأجنبية لا يحمل شهادة جامعية تؤهله لتعليم العربية، وعلى الرغم من الصحوة التي يشهدها ميدان تعليمية اللغة العربية للناطقين بغيرها في الآونة الأخيرة، لا تزال العربية مقاومة إهمال أهلها صامدة في وجه اللهجات من المحيط إلى الخليج، ولا زال المُتعلّم الأجنبي مقبلاً على تعلمها راغباً في معرفة أسرار القرآن الكريم وأسرار الحضارة العربية الإسلامية القديمة.

2. أهمية حضور المقوم الديني ومبرراته في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها:

يعد الوقوف عند اللغة وتعريفها من القضايا الهامة، التي اشتغل عليها الفكر اللساني في القديم والحديث فهي عند ابن جنّي: «أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»⁽¹⁾، وعند السيوطي في المزهرة أُلْفَاظ وضعت لمعان⁽²⁾ وفي تعريف الدكتور حسن ظاظا لها ماهي إلا: «رموز صائفة يحدد بها الإنسان تجاربه الحسيّة والمعنويّة»⁽³⁾، وهكذا اختلفت مفاهيمها حسب نظرة كل عالم وكل مدرسة.

إنّ اللغة ظاهرة اجتماعية إنسانية، تشترك في دراستها كل التخصصات، وهي متعددة الجوانب (اللغوي- النفسي- الاجتماعي- النظري- التطبيقي- التعليمي...)، ولهذا السبب أوجدت اللسانيات المعاصرة فروعاً جديدة لدراساتها، ووصف بنيتها والإمام بقضاياها، بوساطة منهج علمي دقيق، ومن هذه الفروع: التعليمية، التي تهتم بقضايا تعلم اللغة وتعليمها وتطوير مناهج تدريسها، وهو حقل تشترك فيه كثير من التخصصات: اللسانيات، علم النفس، اللسانيات الاجتماعية، الترجمة... وغيرها.

ومما لا شك فيه أنّ تعليم اللغة العربية، استفاد كثيراً من النظريات اللسانية، التي ساعدت على وصف اللغة ودراسة أنظمتها المعقدة في مختلف مستوياتها (الصوتي - التركيبي - الدلالي)، كما استفاد من أبحاث اللسانيات النفسية والاجتماعية، وذلك من خلال تعليم الأفراد ضوابط استعمال اللغة داخل المجتمعات المختلفة الثقافات لأنّ تعلّم اللغة هو تعلّم للثقافة، فاللغة وعاء للثقافة، والمتعلم (الناطق بها، وغير الناطق بها) مطالب بمعرفة مفرداتها وما يحيط بها، حتى يتجنّب الخلط بين الفصحى والعامية، ويكتسب حميمية مع المحيط تمكّنه من التواصل المثمر، وخصوصاً لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها، وهو مبحث بكر أصبحت تحتاجه الشعوب غير الناطقة بالعربية لسدّ حاجات دينية أو سياسية أو اقتصادية.

إنّ تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، أضحي ضرورة ملحة لدي الشعوب غير الناطقة بها، ولكن هنا نتساءل: أي لغة يتعلّم؟ و ماهي المفردات الأساسية له في تعليمه؟.

بالنسبة للسؤال الأول، فالإجابة تبدأ من حيث تلقي الأجنبي للغتنا، فهو يتلقاها من وسائل الإعلام الصحف والمجلات... إلخ، وهذا ما يدعى باللغة العربية الفصحى المعاصرة Modern standard Arabic ويعرفها رشدي طعيمة بأنّها: «تلك اللغة المستخدمة في أجهزة الإعلام العربية، والأحاديث الرسمية والكتابات الأدبية وغيرها من أنشطة الكتابة العربية المعاصرة.»⁽⁴⁾

انطلاقاً من هذه المصادر، يتصل الأجنبي باللغة العربية، لذلك فهو يركّز جلّ اهتمامه أثناء تعلّمها على معرفة ألفاظها المستعملة (الحية)، حتى يتمكن من فهمها، ويتواصل بها بسهولة، ولكنّ الإشكال الذي لا نغفله هنا، هو اصطدامه باللهاجات، وهي عقبة كبيرة لا يتجاوزها إلاّ باحتكاكه المستمر بالثقافة العربية الإسلامية وبملاسة المحيط الحقيقي لها، فثمة فروق في الاستعمال بين المجتمعات مثل: «لفظة آنسة مثلاً يختلف استعمالها من شعب إلى شعب بحكم اختلاف العرف الاجتماعي، ففي العربية نطلق "آنسة" على كل فتاة لم تتزوج بعد ولا نجرؤ على استبدال التسمية ب: السيدة، التي تخاطب بها عادة المرأة المتزوجة، في حين أنّ الشعب السويسري أو الألماني يطلقان اسم آنسة" في مطعم أو فندق بمعنى "نادلة" حتى وإن بدت سيّدة»⁽⁵⁾.

ولكن تعلّم اللغة العربية للناطقين بغيرها لا يتوقف عند حفظ للكلمات، ومعرفة الفروق بينها في الاستعمال في مختلف مواقف التعلّم، وإتّما يتعدى ذلك ليصل إلى حدود الانغماس في الثقافة العربية الإسلامية فالتزوّد بكفاءة لغوية دون امتلاك الكفاءة الاتصالية لا يمكّن المتعلّم من التعامل باللغة في المجتمعات العربية، ولا يمكّنه من قضاء حاجاته، وتحقيق الكفاءة الاتصالية ليس بالأمر الهين، ما لم يتصل الدارس بالمحيط العربي مباشرة ويلامس مرجعيته الدينية والثقافية، التي تعتبر الموجه الحقيقي للشارع العربي في استعماله للكلمات، التي تخضع لفعل الاعتبار الاجتماعية، التي تسمح باستعمال كلمات وتمنع توظيف أخرى.

ولذلك، فمن الواجب على المتعلم الأجنبي الاطلاع على ثقافة العربي في موطنها قبل تعلم لغته ولهجته فليس تعلّم اللغة مجرد أشياء نسميها بل هي تعلم لثقافة هذه المجتمعات وغور في فكرها، وههنا يصلح القول: "بأنّ اللّغة والثقافة وجهان لعملة واحدة"⁶.

وهذا أمر يسوق المتعلم الأجنبي إلى زيادة للجهد في معرفة خصائص مفردات العربية، فهي تمتلك من الخصائص ما يميزها فمثلا في قولنا:

- السلام عليكم: فهي تحية للمسلمين، تختلف عن باقي التحايا.
- الطعام: مفردة تدل على "التسمية" قبل عملية الأكل، وتقسيم المعدة إلى أجزاء (طعام / ماء / هواء).
- الزواج: مفردة توحى بعدة خصائص في الإسلام (شروط...).

كما أنّ تعليم العربية بمرجعية دينية قويمية، يستوجب: "ضرورة الاهتمام بثقافة معلم اللغة العربية للأجانب لأنّ اللغة وعاء للثقافة والفكر، وبغير الإحاطة بأدواتها لا يستطيع المدرس التعامل مع مضمونها، فضلا عن إيصاله، وهذا يقتضي من معلمي العربية للناطقين بغيرها، التزوّد بالثقافة اللازمة لذلك، وهي مسألة لا تقل أهمية عن تعليم المهارة، ومنها:

- إدراك مفهوم الثقافة الإسلامية.
- المعرفة الواضحة بأسس الفكر الإسلامي.
- المعرفة الواضحة بمصادر الفكر الإسلامي، قرآنا وسنة⁷

فمن خلال هذا القول يتبين بأنّ فهم المفردة القرآنية، لا يتأتى إلاّ بالعمل الدؤوب للمعلم وتكوينه أحسن تكوين، فهو وحده من يتحمل مسؤولية نقل الثقافة وهو من يمثل صورتها أمام المتعلمين، ومن هنا تظهر قيمة المعلم المتخصص، لأنّ "تأثير الثقافة الإسلامية في نفوس الأجيال مرهون بحسن تعلم العربية، وأن وهم المعلم للثقافة الإسلامية يعينه على مناقشة المحتوى الثقافي مع المتعلمين، وحسن تفسيره لهم"⁸، ولكنّ الواقع يعكس أنّ جلّ معلمي العربية للناطقين بغيرها في الوطن العربي أو خارجه غير متخصص، وربما لا يحملون شهادات جامعية تؤهلهم لتدريس العربية، وهذا يضعف مستوى التعليم، ولا يعطي الصورة الحقيقية للثقافة الإسلامية.

وعند الحديث عن المعلم، ينبغي الحديث عن شق آخر من العملية التعليمية وهو المحتوى التعليمي أو تلك النصوص والقواعد والتمارين الموجودة ضمن سلاسل تعليم العربية، التي تحتاج إلى مزيد من العناية والتوجيه، وجدير بمن يصنعها أن يلتفت إلى حاجات المتعلمين، وأن يراعي التوفيق بين المحتوى اللغوي والمحتوى الثقافي، فلا يميل إلى طرف دون الآخر، فضياع المحتوى اللغوي، يعني هشاشة الجانب اللغوي لدى المتعلم، وإهمال المحتوى الثقافي يعني تعلّم لغة جوفاء خاوية، وعلى "هذا النهج يتفق معظم الباحثين في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، على أن تعليم العربية دون خلفية ثقافية محيطية، ودون مرجعية يُقدم المحتوى اللغوي في إطارها هو أمر غير ممكن، فالخلفية الثقافية الإسلامية تيسر لمعدي البرامج التعليمية تقديم الأنماط والمفاهيم الثقافية، وتقديم المفردات والتراكيب اللغوية المشتركة بين العربية ولغات المتعلمين الذين يدينون بالإسلام"⁹.

ولهذا يستحسن في إعداد كتب تعليم العربية توظيف الجانب الديني: من نصوص ومفردات وأمثلة قصد تعريفها للمتعلم ومساعدته على الانغماس في محيط العربية، وحتى لا تعرض الحضارة الإسلامية باعتبارها قيماً شاذة عن حضارة المتعلم.

وفي هذا المقام "أمر يجب الوقوف عنده طويلاً، وهو دور القرآن الكريم، وموقعه في تعليم العربية للناطقين بغيرها، إذ يلاحظ في معظم كتب هذا الميدان، تقلص الحجم المخصص للقرآن الكريم إلى حد الاختفاء، مع أن القرآن الكريم، كتاب العربية الأول، ونستطيع الاستفادة الكبرى منه، لو أحسنا توظيفه تقنياً في تعليم العربية للناطقين بغيرها، من خلال ربط الطلاب بروعة وقعه وحسن بيانه، ودقة تصويره، وهو أمر لا تزال كثير من مناهج تعليم العربية غفلاً منه"¹⁰.

ولقد أثبتت الدراسات أنّ معظم المتعلمين الأجانب يتعلمون العربية رغبة في فهم القرآن الكريم، وهذا ما يسميه أصحاب الاختصاص بتعليم العربية لأغراض خاصّة-الغرض الديني- وهذا الأمر يستدعي انتقاء المادة التعليمية بشكل يساعد المتعلمين على فهم إعجاز المفردة القرآنية، وفي هذا الشأن يطلب من المتعلمين بذل مجهود أكبر لمعرفة العربية الصحيحة، والاحتكاك بثقافة أهلها وقيمتهم.

كما أن "الاتصال بالقرآن لا يتم إلا بالعربية، وما تلك الترجمات إلا محاولات تتفاوت دقة وجمالاً، لنقل معاني القرآن الكريم إلى غير العربية من لغات العالم، كما أنّ من أركان الإسلام مالا يجوز أداؤه أو الوفاء به إلا من خلال العربية ذاتها كالشهادتين وأداء الصلاة وبعض شعائر الحج"¹¹، وفي هذا القول دعوة إلى تعلّم العربية في شكلها الوظيفي، لأنّ بعض المواقف لا تقبل إلاّ العربية كالصلاة والشهادتين.

3. إيجابيات حضور المقوم الديني:

يمثل حضور المقوم الديني في العملية التعليمية الخاصّة بالعربية للناطقين بغيرها عاملاً مهماً، يكسب المادة التعليمية صبغة العربية الصحيحة، فلا عربية من دون القرآن، ولا فهم للقرآن من دون التبحر في العربية، وعلى هذا الأساس يمكننا تسجيل عدة مبررات لحضور المقوم الديني في تعليم العربية للأجانب، ومنها:

- فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً، وهي رغبة جل المسلمين الأجانب الذين يجهلون العربية.
- فهم الثقافة العربية بكل ما تحمله من روافد.
- النطق الصحيح لحروف العربية وجملها وخاصّة عند المتعلمين الذين يدرسون علم التجويد.
- يعين المقوم الديني على معرفة التاريخ الإسلامي القديم.
- العودة إلى المقوم الديني هي عودة إلى عربية التراث.

وهناك مجموعة من الأهداف (الإيجابيات)، التي أقرها المؤتمر العام السابع لمكتب التربية العربي لدول الخليج في اجتماعه في مارس 1983، ومنها:

- بناء العقيدة الإسلامية لدى الطلاب على أساس من الدراسة والفهم والاقتران.
- قدرة الدّارس على فهم الإسلام فهما صحيحا متكاملًا.
- قيام العلاقات الاجتماعية على أسس متينة من التراحم والمؤدّة والإيثار والتضحية والعفو عند المقدرة وغيرها من القيم التي دعا إليها الإسلام و أكدّها.
- "12".

4. سلبيات غياب المقوم الديني:

- يخلف غياب العامل الديني في إعداد البرامج التعليمية للمتعلّمين الأجانب فراغا كبيرا لا يستطيع سده أيّ عنصر من عناصر المحتوى، لأنّ غياب المحتوى الديني (القرآن) يعني غياب العربية، فالعربية والقرآن وجهان لعملة واحدة لا نستطيع الفصل بينهما، وعلاقتهما قديمة متينة لا ينكرها أحد، ومن النتائج التي تظهر عند غياب المقوم الديني في تعليم العربية، ما يأتي:
- عدم الاطلاع الكافي على خصائص المفردة العربية.
- فقدان اللغة العربية خصوصيتها الثقافية والحضارية فلا يلتمس المتعلم أيّ صفات مميّزة للغة التي يدرسها.
- أخذ المتعلم الأجنبي معلومات سطحية عن الثقافة العربية الإسلامية.
- إخفاق المسلمين في نقل دينهم وحضارتهم للأجانب الذين يتعلمون العربية.
- خيبة أمل المتعلمين الأجانب المسلمين، الذين يرغبون في التعمق في مسائل دينهم.

5. خاتمة:

- بعد الخوض في موضوع: "المقوم الديني وأثره في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها"، خرجت بمجموعة من النتائج، أهمّها:
- عدم إمكانية تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها دون ربط ذلك بالدين (القرآن)، فالقرآن الكريم هو مصدر العربية الأول.
- تعليم العربية للأجانب لا يتأتى إلاّ بالانغماس اللغوي للأجنبي في المحيط العربي حتى يعرف أسرار المفردات و التعابير في سياقات متعددة.
- سلاسل تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها ما تزال قيد التجريب ومحتواها يكاد يخلو من القرآن الكريم.

- لنقل الدين والثقافة العربية إلى المتعلم الأجنبي يفترض وجود معلّم متخصص يجيد العربية ومناهج التعليم، واع بأمور دينه وثقافته العربية، وهذا ما يفسر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه.
- ليست العبرة في وجود الكم الهائل من المعلمين والكتب في مجال تعليم العربية للناطقين بغيرها، وإنما العبرة في إفادة المتعلم الأجنبي وتوظيف الإرث الثقافي العربي في المحتويات التعليمية، واعتماد الدين مقوّمًا من مقومات التعلّم.

6. الهوامش:

- 1 الخصائص، ابن جني، تج: عبد الحميد هندراوي، مجلد 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008-ص 87.
- 2 المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تج: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار الجيل، دط، بيروت، لبنان، دت، ص 8.
- 3 اللسان والإنسان، مدخل إلى معرفة اللغة، حسن ظاظا، ص 67.
- 4 الأسس المعجمية والثقافية لتعلم اللغة العربية الناطقين بها، رشدي طعيمة، سلسلة دراسات في تعليم اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية- ص 39.
- 5 توظيف اللسانيات في تعليم اللغات، رضا الطيب كشو، منشورات مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1436 هـ، ص 70.
- 6 رشدي طعيمة، معلم اللغة العربية لغير الناطقين بها في إفريقيا، المجلة العربية للدراسات اللغوية، معهد الخرطوم الدولي، العدد 19 ديسمبر 2002، ص 25.
- 7 محمد عبد الفتاح الخطيب، تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها بين الكائن والممكن، سلسلة محاضرات، جامعة الإمارات العربية المتحدة، دت، ص 6.
- 8 أحمد مدكور وإيمان هريدي، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، النظرية والتطبيق، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 2006، ص 269.
- 9 رشدي طعيمة، "تعليم العربية لأغراض خاصة: مفاهيمه وأساسه ومنهجيته"، ندوة تعليم العربية لأغراض خاصة، معهد الخرطوم الدولي لتعليم اللغة العربية - الخرطوم - 4 - 6 جانفي 2003، ص 26.
- 10 محمد عبد الفتاح الخطيب، تعليم العربية للناطقين بغيرها بين الكائن الممكن، مرجع سابق، ص 11.
- 11 رشيد طعيمة، الأسس المعجمية والثقافية لتعليم العربية لغير الناطقين بها، وحدة البحوث والمناهج، ص 15.
- 12 رشدي طعيمة، وأحمد مدكور، وإيمان هريدي، المرجع في مناهج تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 2010، ص 365.